هدية مجلة الوعي الإسلامي
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

خلفاء العصر العباسي

١٣٢ - ٦٥٦هـ - ٧٤٩ - ١٢٥٨م

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية بعد معركة «الزاب» الشهيرة. وقد استمر حكم الدولة العباسية خمسة قرون. وتوالى على حكمها سبعة وثلاثون خليفة بدءاً من «أبو العباس السفاح» وانتهاء بـ «المستعصم بالله». وقسمت الدولة العباسية إلى عصرين متميزين: عصر القوة والازدهار، الذي امتد منذ نشأة الدولة حتى أيام الخليفة «الواثق بن المعتصم» (حكم من ٢٢٧ - ٢٣٢هـ) وعصر التدهور والانحلال الذي ابتدأ بخلافة «المتوكل على الله» سنة ٢٣٢هـ وانتهى بسقوط الدولة العباسية على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ. حققت الدولة خلال فترة حكمها العديد من الانجازات وازدهرت العلوم بشكل خاص وانتشرت الأسواق وتعززت شعائر الدين وشاعت الخيرات وحُصِنَتْ الثغور.

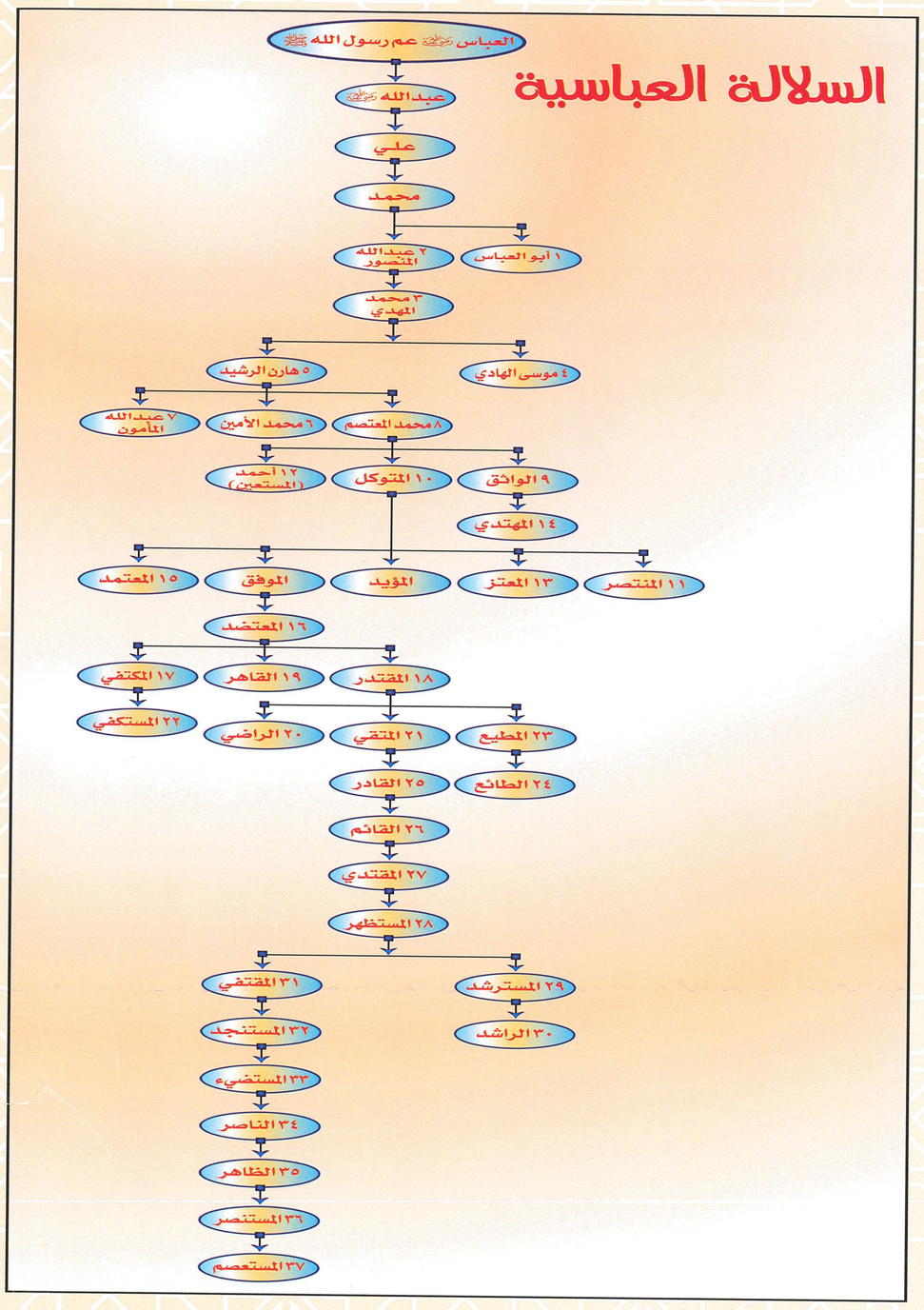

● عبدالله بن محمد «أبو العباس» (١٣٢ - ١٣٦هـ)

هو «عبدالله بن محمد بن علي بن العباس»، ولد بالحميمة من الشراة في الأردن العام ١٠٥ هـ. كان جواداً حتى ضُرب به المثل في الجود، وكان عفيفاً عنيفاً متعبداً. قضى على اتباع الأمويين ماعدا عبدالرحمن الداخل «مؤسس الدولة الأموية في الأندلس»، وكان محباً للأدب. وفي عهده شيَّد القصور في الأنبار، وقام بتوطيد أركان الدولة العباسية. وخلا عصره من الفتوحات والغزو، توفي بالجدري العام ١٣٦هـ عاش إحدى وثلاثين سنة، ولي الخلافة منها أربع سنوات.

● أبوجعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ)

ولد بالحميمة من الشراة في الأردن العام ٩٥هـ، فهو أكبر من أخيه «أبي العباس» بنحو عشر سنوات، فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأيا وحزماً، ودهاءً وجبروتاً وكان جمّاعاً للمال، حريصاً، تاركاً للهو واللعب، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم، متديناً كثير الخير، منظماً لإدارة الدولة. أدى انشغاله في أول عهده بأحداث عمه، و«أبي مسلم الخرساني» إلى استرجاع الروم لكثير من المناطق، ولكن سرعان ما استعاد مسيرة الفتوحات فقام بغزو «طبرستان» و«أهل الديلم»، كما فتح كشمير. في عهده لعب الفرس دوراً كبيراً في تأسيس الدولة العباسية فقد ساعدوا العباسيين كثيراً في إقامة دولتهم وهزيمة أعدائهم من بني أمية.

● محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ)

ولد في العام ١٢٦هـ في بلدة إيذج. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المنصور في العام ١٥٨هـ، كان جواداً كريماً محبباً للرعية، أطلق السجناء إلا من كان مسجوناً على دم أو فساد في الأرض أو عنده حق لأحد، وعرف بسماحة الأخلاق. بنى مسجد الرصافة في العام ١٥٩هـ، ووسع المسجد الحرام في العام ١٦٧هـ، تتبع الزنادقة وعمل على إبادتهم. توفي في العام ١٦٩هـ دامت خلافته عشر سنوات وشهراً ونصف الشهر.

● موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ)

ولد بالسيروان من الري العام ١٤٧هـ أيام خلافة جده المنصور، نشأ في بيت الخلافة، وله من الأولاد تسعة. كان فصيحاً، أديباً، مفوهاً، شهماً خبيراً بالملك كريماً، مهيباً، لديه مواصفات الرئاسة. بويع بالخلافة في عهد أبيه، تميز عهده بكثرة الجند والسلاح، وتتبع الزنادقة. مات في النصف الأول من العام ١٧٠هـ حكم سنة واحدة وثلاثة أشهر.

● هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ)

ولد الرشيد بالري أيام خلافة جده «أبي جعفر المنصور» في العام ١٤٦هـ، وبويع بالخلافة في العام ١٧٠هـ ولم يكن عمره يزيد يوم بويع على أربع وعشرين سنة. كان الرشيد شجاعاً قوياً، فاضلاً، فصيحاً، عالماً، يحجّ سنة ويغزو سنة حتى اتسعت الدولة العباسية في عهده، وكان يصلي كل يوم مئة ركعة وحج ماشياً، تتبع الزنادقة وقتل كثيرا منهم، وكان يستمع للوعاظ والناصحين ويبكي من خشية الله أسس بيت الحكمة «أكبر مكتبة في الدولة الإسلامية». وفي عهده بلغت الدولة العباسية غاية اتساعها، وأوج ازدهارها، وقمة نشاطها الاقتصادي، كما كانت مركزاً للعلم والأدب والفنون. فتح الرشيد حصن الصفصاف وبلدة أصحاب الكهف، ومدينة هرقلة وقبرص وبلدة مطورة. وخلال فترة ولايته بدأت تظهر الإمارات المستقلة وتنسلخ عن جسم الدولة الإسلامية منها «الدولة الرستمية في تاهرت» و«دولة بني مدرار في سجلماسة» ودولة الأمويين في الأندلس» و «الأدارسة في المغرب» و«الأغالبة في تونس». توفي الرشيد في مدينة «طوس» في العام ١٩٣وقد دامت ولايته ثلاثة وعشرين عاماً.

● محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨هـ)

ولد محمد الأمين في مدينة الرصافة في العام ١٧٠هـ بويع بولاية العهد وهو ابن خمس سنين، وكانت العجلة في هذه البيعة خوفا من نزول حادث مفاجئ بالرشيد. كان كثيرا اللهو، محبا للصيد، يكثر من اقتناء العبيد، مهملاً لأمور الدولة، قتل على يد جماعة من العجم في العام ١٩٨هـ.

● عبدالله المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ)

ولد «المأمون» في منتصف ربيع الأول من العام ١٧٠هـ، بويع بالخلافة العام ١٩٨هـ قبل مقتل أخيه «الأمين» بعشرة أيام تقريباً مع أنه دُعي له بالخلافة مرة قبل عامين، والأمين محصور في بغداد. وأظهر «المأمون» العام ٢١٢هـ القول بخلق القرآن وفي العام ٢١٨هـ حدثت المحنة للعلماء بسبب القول بخلق القرآن، وقد تعرض عدد منهم للتعذيب ومنهم الإمام «أحمد بن حنبل». كان «المأمون» عاقلاً حكيماً كريماً شاعراً محباً للعلم مقبلاً عليه ولهذا قويت في عهده حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية. حرص على رعاية بيت الحكمة «أكبر مكتبة في الدولة العباسية». توفي في العام «٢١٨هـ» في بلاد الروم، ودفن في مدينة طرسوس.

● محمد المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ)

ولد في بغداد العام ١٧٩هـ، وهو أحد ستة أولاد للخليفة هارون الرشيد كل منهم يدعى محمداً، يكني بـ «أبي إسحاق». كان قوياً، شجاعاً، له همة عالية في الحروب، ومهابة عظيمة في القلوب. ولي الخلافة في شهر رجب من العام ٢١٨هـ بعد وفاة أخيه «المأمون»، ومن ثم ترتب على «المعتصم» أعمال جسام منها قتال «بابك الخرمي» والقضاء عليه، وقد تمكن من ذلك، ومنها حرب الروم وتأديبهم على مناصرتهم أعداء الدولة وبخاصة «بابك الخرمي». استخدم الجند الأتراك وأكثر منهم حتى زاد أذاهم في بغداد، وتضايق الناس منهم، فاضطر إلى أن يقيم مدينة سامراء في مكان ليجعلهم فيها. احتجم فأصابته علة توفي على إثرها، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول من العام ٢٢٧هـ، وكان عمره يومذاك ثمانية وأربعين عاماً. وتابع مقالة «المأمون» في خلق القرآن، وقد امتُحن «أحمد بن حنبل» يرحمه الله في هذه القضية وناله منه ما ناله من العذاب.

● هارون الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ)

ولد في العام ١٩٦هـ في طريق مكة المكرمة، وكان شاعراً، وراوية للشعر، حليماً صابراً وكان عمه «المأمون» يفضله على بعض ولده. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم، وكان يقول بخلق القرآن كأبيه وعمه وذلك في أول أمره، غير أنه عدل عن هذه المقالة في آخر حياته. وفي العام ٢٢٩هـ حبس الواثق كتّاب الدواوين، وضرب بعضهم، وفرض على بعضهم مالاً كبيراً، إذ اتهم هؤلاء بالخيانة وعدم الإخلاص في العمل. توفي في نهاية العام ٢٣٢هـ، ولم يزد حكمه على خمس سنوات وتسعة أشهر وأيام عدة.

● المتوكل بن المعتصم (٢٣٢ - ٢٤٧هـ)

ولد العام ٢٠٥، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق في العام ٢٣٢هـ. أمر أهل الذمة أن يتميزوا بلباسهم عن المسلمين. ومنع القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار، وأزال المحنة التي وقعت بسبب ذلك، وأكرم الإمام «أحمد بن حنبل»، واستدعاه من بغداد إليه وأكرمه، وقد أخذ «المتوكل» بمذهب الإمام الشافعي. قام ببناء مدينة «الماحوزة» قرب «سامراء»، والتي عرفت باسم «المتوكلية»، كما عُرفت باسم الجعفرية، وبنى فيها قصر الخلافة الذي سماه قصر اللؤلؤة. قتل في عيد الفطر من العام ٢٤٧ هـ على يد الأتراك.

● محمد المنتصر بن جعفر «المنتصر بالله» (٢٤٧ - ٢٤٨هـ)

هو «محمد المنتصر بن جعفر المتوكل»، ولد العام ٢٢٢في سامراء يُكنى بأبي جعفر. كان وافر العقل، مهيباً، راغباً في الخير، قليل الظلم، محسناً إلى العلويين، وردّ إلى آل الحسين «فدك». بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه العام ٢٤٧هـ وكان يحب الأتراك قبل توليه الخلافة فلما تولاها أصبح يسبهم، ويقول عنهم: قتلة الخلفاء. مات في ربيع الثاني من العام ٢٤٨هـ ولم تدم مدة حكمه أكثر من ستة أشهر ويوم واحد.

● أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم «المستعين بالله» (٢٤٨ - ٢٥٢هـ)

ولد عام ٢٢١، بويع بالخلافة يوم مات المنتصر بالله. كان فاضلاً، بليغاً، أديباً، وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة. كثرت الحركات في عهده نتيجة ضعفه وتهاونه وتسلط القادة على أمور الدولة وانصرافهم إلى مشكلاتهم الخاصة. قتل على يد المعتز بعد تسعة أشهر من خلع نفسه (٣ شوال ٢٥٢).

● أبو عبدالله محمد بن جعفر المتوكل «المعتز بالله» (٢٥٢ - ٢٥٥هـ)

ولد بسامراء عام ٢٣٢هـ، كان يتميز بجودة الذهن، وحسن الفهم، والأدب. بويع بالخلافة بعد خلع المستعين، وله تسع عشرة سنة، ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه، وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب. توفي وعمره أربع وعشرون سنة وبالتالي تصبح خلافته أربع سنوات وستة أشهر.

● محمد بن هارون «المهتدي بالله» (٢٥٥ - ٢٥٦هـ)

هو محمد بن هارون الواثق، ولد بسامراء عام ٢٠٩، يُكنى أبا إسحاق كان ورعاً، متعبداً، عادلاً، بطلاً، قوياً في أمر الله، شجاعاً، لكنه لم يجد ناصراً أو معيناً. في عهده قام بمنع الملاهي، وتحريم الغناء، حبس أصحاب السلطان عن الظلم، وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين، ويجلس الكتّاب بين يديه.

● أحمد بن جعفر المتوكل «المعتمد على الله» (٢٥٦ - ٢٧٩هـ)

هو أحمد بن جعفر المتوكل، ولد عام ٢٢٩، بويع بالخلافة العام ٢٥٦ هـ فكان عمره آنذاك سبعاً وعشرين سنة. كان المعتمد أول خليفة انتقل من سامراء إلى بغداد، ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء. انصرف الى اللهو، وكان القائم بأمر الدولة أخوه الموفق، وصار إليه العقد والحل والولاية والعزل، وكان يخطب له على المنابر. في عهده ظهرت بعض الدويلات مثل بني زياد، بني يعفر، الطولونية، الصفارية، السامانية، الطالبية في طبرستان. توفي عام ٢٧٩ وكان عمره خمسين سنة، فكانت خلافته بذلك ثلاثاً وعشرين سنة.

● المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ)

هو أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل، أبوالعباس، ولد عام ٢٤٢، بويع بالخلافة عام ٢٧٩ بعد عمه المعتمد على الله. كان شجاعاً، مهيباً، ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة، يقدم على الأسد وحده لشجاعته، وكان ذا سياسة عظيمة، وكان شهماً، موصوفاً بالرجولة، وسكنت الفتنة في أيامه لفرط هيبته. شهد عهده الأمن والرخاء، وإسقاط المكوس، وانتشار العدل، ورفع الظلم. وكان يسمى «السفاح الثاني» لأنه جدد ملك بني العباس. قام بمنع الوراقين من بيع كتب الفلسفة، ومنع القصاصين والمنجمين من القعود في الطريق، وكان يمسك عن صرف الأموال في غير وجهها.

● المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥هـ)

هو علي بن أحمد المعتضد، ولد عام ٢٦٤هـ - يُكنى أبا محمد. بويع بالخلافة بعد موت أبيه المعتضد عام ٢٨٩. في عهده انتشرت القرامطة والدعوة الشيعية والعبيدية على نطاق واسع، وتخلص من الطولونيين بعد أن ضعف أمرهم. تمكن من فتح «أنطاكيه» عنوة من بلاد الروم. وتوفي عام ٢٩٥، فكان عمره اثنين وثلاثين سنة.

● المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ)

هو جعفر بن أحمد المعتضد، ولد عام ٢٨٢، بويع بالخلافة وعمره لم يتجاوز الثلاث عشرة سنة (لم يل الخلافة قبله أصغر منه)، وذلك عام ٢٩٥هـ. كان معطاءً جواداً، وله عقل جيد، وفهم ثاقب، وذهن صحيح، وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف، وكان كثير التنفل بالصلاة والصوم والعبادة. في عهده قام بإبطال الخمور والمكوس، وإشاعة العدل. كانت مدة خلافته خمساً وعشرين سنة إلا قليلاً، وقد عاش ثمانيا وثلاثين سنة.

● القاهر بالله (٣٢٠ - ٣٢٢هـ)

هو محمد بن أحمد المعتضد، ولد عام ٢٨٧، يُكنى أبا منصور. أمر بمنع الخمور، وتحريم القيان، وبيع المغنيات من الجواري، وقبض على المغنين، وكسر آلات اللهو. خرجت عدة مناطق في عهده من حكم الخلافة مثل خراسان وفارس مات عام ٣٣٩، عن اثنتين وخمسين سنة، ومدة خلافته سنة وستة أشهر وأسبوع.

● الراضي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ)

هو محمد بن جعفر المقتدر، ولد عام ٢٩٧، يُكنى أبا العباس، بويع بالخلافة بعد خلع عمه القاهر وذلك عام ٣٢٢ فكان عمره خمسة وعشرين عاماً، كان سمحاً، كريماً، أديباً، شاعراً، فصيحاً، محباً للعلماء، له شعر مدون. في عهده ضعف أمر الخلافة جداً حتى انقطع الحج من بغداد بسبب القرامطة. مات عام ٣٢٩هـ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته سبع سنوات تقريباً.

● المتقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣هـ)

هو ابراهيم بن جعفر المقتدر، ولد عام ٢٩٥، فهو أكبر من أخيه الراضي، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الراضي، وعمره أربع وثلاثون سنة، لم تغير الخلافة من أمره شيئاً، فلم يتسر بغير جارية كانت له من قبل، ولم يشرب مسكراً، كان كثير التلاوة للقرآن، كما لم يكن له من أمر الخلافة شيء، إذ كان أمير الأمراء متسلطاً عليه.

● المستكفي بالله (٣٣٣ - ٣٣٤هـ)

هو عبدالله بن علي المكتفي، ولد عام ٢٩٢، بويع بالخلافة بعد خلع ابن عمه المتقي، وكان عمره أربعين سنة أو يزيد قليلاً. لقب نفسه «إمام الحق». أشتهر بحب السباحة والمصارعة، وانهمك الشباب فيهما بشكل كبير في عهده. خلع المستكفي نفسه وبايع ابن عمه المطيع بالخلافة، ومات سنة ٣٣٨هـ.

● المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣هـ)

هو الفضل بن جعفر المقتدر، ولد عام ٣٠١، يُكنى أبا القاسم، كان مستخفياً عن ابن عمه المستكفي، وهو يطلبه، بويع بالخلافة عام ٣٣٤ عندما أحضره المستكفي عنده فسلّم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع. شهد عهده سيطرة العلويين على أنظمة الحكم وخاصة «معز الدولة». وأصيب المطيع لله بفالج عام ٣٦٣، وثقل لسانه فخلع نفسه، وتسلّم الأمر بعده ولده الطائع لله، ثم توفي المطيع في مطلع عام ٣٦٤هـ.

● الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١هـ)

هو عبدالكريم بن الفضل المطيع، أبوبكر، ولد عام ٣٢٠، تنازل له أبوه المطيع عن الخلافة عام ٣٦٣ فكان عمره ثلاثة وأربعين عاماً. كان شديد الميل إلى الطالبيين، سقطت هيبة الخلافة في أيامه جداً حتى هجاه الشعراء، إذ كان يخرج لاستقبال عضد الدولة على غير عادة الخلفاء. وخلع الطائع نفسه تحت إجبار «القادر بالله» وبقي عنده حتى توفي عام ٣٩٣ ليلة عيد الفطر، وقد صلى عليه الخليفة.

● القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ)

هو أحمد بن إسحاق بن الخليفة المقتدر، أبو العباس، ولد سنة ٣٣٦. كان عالماً متعبداً وقوراً من أجلّة الخلفاء وأمثلهم، وأشتهر بإدامة التهجد وكثرة الصدقات. وصنف كتاباً في الأصول، ذكر فيه فضل الصحابة، وتكفير من قال بخلق القرآن. بويع بالخلافة بعد خلع الطائع عام ٣٨١، واستتاب فقهاء المعتزلة فتبرؤا من الاعتزال والرفض، وأخذت خطوطهم بذلك. مات القادر بالله سنة ٤٢٢، وكان عمره آنذاك سبعاً، وثمانين سنة، وبذلك تكون مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر.

● القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ)

هو عبدالله بن أحمد القادر، أبو جعفر، ولد العام ٣٩١ هـ، ولي أمر الخلافة العام ٤٢٢ هـ، وكان عمره إحدى وثلاثين سنة وقد عهد إليه أبوه بالخلافة ولقبه القائم بأمر الله. كان زاهداً، عالماً قوي اليقين بالله تعالى، كثير التصدق والصبر، له عناية خاصة بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة، كان يؤثر العدل والإحسان وقضاء الحوائج. توفي العام ٤٦٧ هـ وخلفه حفيده.

● المقتدي بأمر الله (٤٦٧ - ٤٨٧هـ)

هو عبدالله بن محمد بن عبد الله القائم بأمر الله، بويع بالخلافة بعد وفاة جده القائم العام ٤٦٧ هـ وكان عمره تسع عشرة سنة، كان ديناً، خيّراً، قوي النفس، عالي الهمة، من نجباء بني العباسي، ومن محاسنه أنه نفى المغنيات والخواطي ببغداد، وكان يُكنى بأبي القاسم. في أيامه استرد المسلمون إنطاكية ومنبج، وانتصروا في الأندلس في معركة الزلاقة، وفتحوا أجزاء من الهند. وأعيدت الخطبة في عهده للعباسيين في دمشق ومكة، توفي في مطلع العام ٤٨٧ هـ، وبذا تكون خلافته دامت نحو عشرين عاما وكان فيها خير للمسلمين.

● المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢هـ)

هو أبو العباس أحمد بن عبدالله المقتدي بالله، ولد العام ٤٧٠ هـ، كان خيّراً فاضلاً ذكياً بارعاً، وكانت أيامه ببغداد كأنها أعياد، كان راغباً في البر والخير، مسارعاً إلى ذلك، وكان حسن العشرة لا يصغي إلى أقوال الوشاة من الناس، ضبط أمور الخلافة جيداً، وأحكمها وكان لديه علم كثير، وله شعر حسن. بويع بالخلافة عند وفاة أبيه وعمره سبع عشرة سنة، وفي أيامه بدأت الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي وتوفي العام ٥١٢ هـ.

● المسترشد بالله (٥١٢ - ٥٢٩هـ)

هو الفضل بن أحمد المستظهر، أبو منصور، المسترشد بالله ولد سنة ٤٨٥هـ، بويع بالخلافة عند موت أبيه في سنة ٥١٢ هـ، وكان عمره آنذاك سبعاً وعشرين سنة. كان ذا همة عالية، وشهامة زائدة، وإقدام ورأي، وهيبة شديدة، ضبط أمور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب، وأحيا رسم الخلافة وشيد أركان الشريعة وطرز أكمامها، وباشر الحروب بنفسه. قتل وعمره خمس وأربعون سنة، وثلاثة أشهر، استمرت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً.

● الراشد بالله (٥٢٩ - ٥٣٠هـ)

هو منصور بن الفضل المسترشد، أبو جعفر، الراشد بالله، ولد العام ٥٠٢ هـ، بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه العام ٥٢٩ هـ، وكان عمره آنذاك سبعاً وعشرين سنة. كان الراشد فصيحا، أديباً، شاعراً شجاعاً، سمحاً جواداً، حسن السيرة، يؤثر العدل، يكره الشر. لم يكمل الراشد بالله السنة في خلافته، قتل سنة ٥٣٢ هـ.

● المقتفي لأمر الله (٥٣٠ - ٥٥٥هـ)

هو المقتفي لأمر الله، أبو عبدالله محمد بن أحمد المستظهر بالله، ولد سنة ٤٨٩ هـ، بويع بالخلافة بعد خلع ابن أخيه الراشد بالله، وكان عمره إحدى وأربعين سنة. كان من سروات الخلفاء، عالماً، أديباً، شجاعاً، حليماً، دمث الأخلاق، كامل السؤدد، خليقاً بالإمامة، قليل المثل في الأئمة، محمود السيرة، باشر أمور الخلافة بنفسه. مات سنة ٥٥٥ هـ، وبذا يكون قد عاش ستاً وستين سنة.

● المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦هـ)

هو يوسف المستنجد بالله بن محمد المقتفي لأمر الله، ولد سنة ٥١٨ هـ. كان من خيار الخلفاء وأعدلهم وأرفقهم بالرعية، منع عنهم المكوس والضرائب، ولم يترك بالعراق مكساً، وكان شديداً على المفسدين، وموصوفاً بالفهم الثاقب، والرأي الصائب، والذكاء الغالب، والفضل الباهر، له نظم بديع، ونثر بليغ، ومعرفة بعمل آلات الفلك والأسطرلاب وغير ذلك. بويع بالخلافة يوم موت أبيه العام ٥٥٥ هـ، في أيامه اتسعت ميادين القتال بين المسلمين والصليبيين. توفي سنة ٥٦٦ هـ، وبذا تكون خلافته قد زادت على إحدى عشرة سنة.

● المستضيء بأمر الله (٥٦٦ - ٥٧٥هـ)

هو الحسن أبو محمد المستضيء بأمر الله بن يوسف المستنجد بالله، ولد العام ٥٣٦، بويع بالخلافة يوم مات أبوه العام ٥٦٦ هـ، وكان من خيار الخلفاء، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مزيلاً عن الناس المكوسات والضرائب مبطلاً للبدع، وكان حليماً وقوراً كريماً. توفى العام ٥٧٥ هـ، دامت خلافته تسعة أعوام.

● الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ)

هو الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن الحسن المستضيء بأمر الله، ولد سنة ٥٥٣ هـ. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه العام ٥٧٥ هـ، كان فصيح اللسان، بليغ البيان، شجاعاً، شهماً، ذا فكر صائب، وعقل رصين، ومكر ودهاء، اشتغل برواية الحديث. في عهده ضعف أمر الصليبيين، وظهر الأيوبيون وعلا سلطانهم، وكان الجميع يخطب له، وفتح صلاح الدين القدس، وعقد صلح الرملة، توفي سنة ٦٢٢ هـ، استمرت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة.

● الظاهر بأمر الله (٦٢٢ - ٦٢٣هـ)

هو الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن أحمد الناصر لدين الله، ولد العام ٥٧١ هـ، وبويع بالخلافة عند وفاة أبيه سنة ٦٢٢هـ، وكان عمره يوم ذاك اثنين وخمسين سنة، وقد أحسن إلى الرعية، وأبطل المكوس، وأزال المظالم، ووزع الأمور. توفي سنة ٦٢٣ هـ، واستمرت خلافته تسعة أشهر وأيام عدة، وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة.

● المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ)

هو منصور، أبو جعفر بن الظاهر بأمر الله ولد العام ٥٨٨ هـ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه الظاهر بأمر الله العام ٦٢٣ هـ، فنشر العدل بين الرعية، وبذل الإنصاف في القضايا، وقرّب أهل العلم والدين، وبنى المدارس والمساجد والمستشفيات، وجمع الجيوش لنصرة الإسلام، وأحبّه الناس، وهزم جنود التتار في الوقت الذي خافهم الناس. توفي العام ٦٤٠ هـ وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، ودامت خلافته ست عشرة سنة وعشرة أشهر.

● المستعصم بالله (٦٤٠ - ٦٥٦هـ)

هو عبدالله، المستعصم بالله، أبو أحمد بن منصور المستنصر بالله، آخر خلفاء بني العباس في بغداد، ولد سنة ٦٠٩ هـ، بويع بالخلافة عند وفاة أبيه العام ٦٤٠ هـ، خرّج له الشرف الدمياطي أربعين حديثاً، أجيز له بالحديث، وأجاز جماعة بالحديث عنه. كان متدينا متمسكاً بالسنة كأبيه وجده ولكن لم يكن مثلهما في الحزم والشجاعة وعلو الهمة، بل كان فيه لين وضعف. قتل المستعصم بالله على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ، وبمقتله انتهت دولة بني العباس في العراق، فهو آخر خلفاء الدولة العباسية.

التتار

في الوقت الذي بدأ يضعف فيه المد الصليبي في بلاد الشام وينحسر عن مناطق سبق له أن سيطر عليها. بدأت تظهر في شرق ديار الإسلام قوة عظيمة تتمتع بقدرة كبيرة على الحركة ولديها إمكانات قتالية هائلة، كيف لا فهم التتار؟. لقد خشي الصليبيون أن يسلم التتار باحتكاكهم مع المسلمين كما حدث لأبناء عمومتهم الأتراك السلاجقة والغزنويون وغيرهم، وإذا ما حدث مثل هذا فإن المسلمين يزدادون قوة إلى قوتهم ومن ثم قاموا بإرسال الرسل إلى التتار، يحسنون لهم ديار الإسلام وغلاتها، ومنتجاتها، وخيراتها ويحرضونهم على غزوها وامتلاكها.

هذا ما أغرى التتار بالانطلاق نحو الغرب والاستيلاء على ديار الإسلام. والتتار شعب بدوي عاش على أطراف صحراء غوبي (في أطراف بلاد الصين، وهم سكان براري، مشهورون بالشر والغدر). حياتهم رعوية، ونظامهم قبلي، يحبون الحرب والسلب والنهب، يعبدون الكواكب، ويسجدون للشمس عند شروقها، يأكلون لحوم الحيوانات جميعها، وتنتشر عندهم الإباحية، ويقدّسون أرواح الأجداد، وكلمة «تتار» اليوم تطلق على كل القبائل الموجودة في شرق روسيا وسيبيريا وشبه جزيرة القرم. بدأ التتار العام ٦٠٦هـ بالتجول في المناطق المجاورة، فقاموا بالاستيلاء على تركستان وبلاد ما وراء النهر رغبة في السلب والنهب، ثم ساروا الى منطقة الري وهمدان وأذربيجان وأخذوها، وكذلك أخذوا بلاد القفقاس، وأنطلقوا إلى روسيا فدخلوها ونهبوها بقيادة «جنكيز خان». وكانت أول هزيمة للتتار على يد المسلمين في «غزنة»، ثم هزموا مرة أخرى في «كابل»، ولكنهم هزموا المسلمين على نهر السند. والغريب أن المسلمين كانوا يواجهون التتار متفرقين يقاتل بعضهم بعضاً، وكانت بداية الضعف الذي جاء في المستقبل. التقى المسلمون بالتتار في الري وهزموهم ومات «جنكيز خان» وخلفه ابنه. وما لبث أن استعاد التتار قوتهم وقاموا بالاستيلاء على أذربيجان وأربيل. ثم اتجهوا الى أوروبا ودخلوا بلاد البلغار والمجر وبولندا وأخيراً استولوا على الصين وجعلوا «بكين» عاصمة المغول. وجهز التتار جيشاً كبيراً بقيادة «هولاكو» للسير باتجاه فارس والعراق والشام، ومن ثم سيطروا على بلاد فارس بعد القضاء على الإسماعيلية، ثم حاصروا بغداد مستغلين الفتنة التي حدثت فيها بسبب خيانة الوزير «ابن العلقمي» وحدث القتال واستمر نحو أربعين يوماً وبلغ القتل أكثر من ألف ألف نسمة وتجرع المسلمون على يدهم هزيمة ساحقة إنتهت على أثرها الدولة العباسية عام ٦٥٦ هـ وقويت شوكة التتار حتى تم القضاء عليهم سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م.

الصليبيون

عندما بدأ الضعف يظهر على حكام المسلمين أرادت النصرانية أن تقوم برد الفعل السريع وذلك لخوفها من عودة القوة إلى المسلمين بعد بعض الانتصارات التي حققوها في معركة «ملاذكرد» و«الزلاقة».

وهناك عومل عدة أسهمت في تحقيق الصليبيين مرادهم وهي:

١- دخول عناصر بربرية في النصرانية وبخاصة المجموعة الجرمانية والمجرية.

٢- انتصارات الإمارات الإيطالية في البحر الأبيض المتوسط.

٣- احتلال النورمانديين لجزيرة صقلية وطرد المسلمين منها.

٤- ضعف دولة السلاجقة.

٥- النفوذ الذي حصل عليه بابا روما الذي قدم للنصرانية الصليب لاحتلال بيت المقدس.

وقد جهز البابا الحملة الصليبية الأولى التي كان قوامها ٣٠٠ ألف مقاتل واتجهت إلى أبواب القسطنطينية، وحصل اتفاق ودي بين الطرفين واختلف القادة الصليبيون فيما بينهم فاتجه بعضهم الى الرها (قرب الموصل اليوم) وسار باقي القادة الى «انطاكية» فضربوا الحصار عليها ودخلوها عنوةً وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف، وفعلوا أبشع الجرائم.

ووصلوا إلى بيت المقدس ودخلوه العام ٤٩٢هـ فقتلوا من أهل المدينة أكثر من سبعين ألفاً وخاضت خيولهم في بحر من الدماء، وانتخب «غود فري»، ملكاً على بيت المقدس، وأخذ لقب حامي قبر المسيح.

لكن فقدت هذه الحملة أكثر مقاتليها أي (٢٢٠ ألف مقاتل) من الذين قتلوا في المعارك. وبمساعدة الإمارات الإيطالية تمكن الصليبيون من أخذ «حيفا وقيسارية وعكا وطرابلس وجبلة وصيدا وصور».

واستقبل سكان هذه البلاد من النصارى والأرمن الصليبيين استقبالاً حاراً ورحبوا بهم ترحيباً كبيراً وخصوصاً في «انطاكية» وبيت المقدس.

وتشكلت أربع إمارات صليبية في بلاد الشام وهي:

١- إمارة الرها
٢- إمارة طرابلس
٣- إمارة بيت المقدس
٤- إمارة انطاكية.

مجلة الوعي الإسلامي - تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي - ص.ب ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت - هاتف: ٢٤٧٠١٥٦ - ٢٤٦٧١٣٢ - فاكس: ٢٤٧٣٧٠٩ (٩٦٥+)
موقع الوزارة على شبكة الإنترنت Homepage: www.islam.gov.kw
موقع المجلة على شبكة الإنترنت www.alwaei.com